

عصر الامراء الحشموناييم (١٦٠-١٤٣ ق.م)

لم يكن « يهودا مكابي يفارق الحياة حتى أحاطت السكوارث باليهود من كل ناحية فهددته المجاعة وحطمته المشاحنات الداخلية وفي هذه الظروف حاول الأخوة الحشموناييم وهم يونانان وشمعون ويوحنا « اتقاذ اليهود من هذا الانحلال وتلك الفوضى التي تردوا فيها مع محاولة وقف تقدم الهلليين وأتباع « بكشيديس » إلا أن كل هذه المجهودات ذهبت مع الريح .

فقد لجأ الحشموناييم إلى تكوين حزب قوى يستطيع الصمود في وجه الخبز الهليني وحاول كل فريق الفتك بالآخر متى سنحت له الفرصة بالرغم من أن الهلينية كفلت الحزب الحشموناييم حرية العبادة وتأدية الطقوس الدينية واحترام المقدسات إلا أنهم بالرغم من ذلك ظلوا يحقدون على الهلليين ويتربصون بهم الدوائر فقد عجزوا عن التخلص من غريزة الحقد والايقاع بغير اليهود أعنى بالجويم فاليهود ينفضون عادات وتقاليدهم ويذهبون في بنفهم بعيداً حتى أنهم ينكرون على غيرهم الكفاءة والنبوغ هكذا تأمر التوراة وقول شراحها في الجمارا والتلمود لذلك علق الحشمونايين كل آمالهم في تحقيق أوامر الشريعة التي تأمر بعدم الاشارة بفضل الجويم ولا تمنحهم اقامة على الأرض وتحرم على اليهودى أن يبيع للجوى شيئاً ثابتاً في الأرض لكن يجوز البيع إذا هدم ما على الأرض ويقول ربى يهوداً يجوز البيع لنير اليهودى بشرط الهدم والازالة كما تحرم حتى الحديث عن جمال غير اليهودية أو اليهودى « على المكابي « يونانان افوس Jonathan Aphus » ويذهب الحشموناييم بعيداً فيرجون منه اباداة اليهود الهلليين لكي يحل السلام بالبلاد وكان « يونانان » أضعف من أن يواجه « بكشيديس » إذ لم يكن له جيشه والحشموناييم يلتقون بـ « بكشيديس » حتى هربوا إلى غابات الأردن ومن ثم حاولوا تهريب النساء والأطفال إلى قبيلة نبطيه صديقة فالنقى « بنى عمرى » خلفاء السوريين بهم

فشكلوا بهم شر تكتيل وبقائهم « يونانان » بينما نجد « بكشيديس » بنقض على اليهود المحتبئين في أحراش الأردن فيولون مذعورين إلى نهر الأردن ملتسين النجاء بين أمواجه فيبتلع من يبتلع ولم ينج من أمواجه الصاخبة إلا النفر القليل . وأستولى الجيش السوري بقيادة « بكشيديس » على سائر تلك الإقاليم كما أنه ظل يطارد اليهود حتى أنهم لم يبقوا لا يفروا من هزيمة إلا تتلقفهم أخرى وأخرى وأخيراً جمع القائد السوري أولاد أعيان اليهود وأخذهم رهينة . وهكذا نجح الجيش السوري عام ١٥٩/١٦٠ ق.م. في تحقيق خطته الخاصة بالقضاء على الكيان اليهودي جيشاً وشعباً كما استأصل شأفة الحشموناييم وساد السلام البلاد عامين ١٥٩ - ١٥٧ ق.م.

إلا أن اليهوديين الحشمونيين (يونانان) و (شمعون) غدرا وقررا التدبير لحرب أخرى فاتجها إلى واحة في صحراء (أريحا) بالقرب من الأردن وحيث توجد هناك غاية ونبع ماء فضلا عن أن نهر الأردن يستخدم خطا للدفاع لهما من جهة الحلف في حالة الهجوم عليهما أو ملاذا به عند الهزيمة والتقى بهما الجيش السوري بقيادة « بكشيديس » فهزم جيشهما وأبرم معهما صلحاً على أن يقدم « يونانان » رهائن من اليهود لبكشيديس ولا يدخل أورشليم . ومن عجائب الصدف أن ظهر في تلك الفترة شاب في أزمير يدعى (الكسندر بالاس Al palas) واستغله (اتلوس Attalus ملك (برجاموس Pergamos) ليحمل منه منافساً خطيراً للملك سوريا «ديمتريوس» فاتصل بالحشموني يونانان وأغراه ليكون حليفاً له وطلب إليه أن يعد جيشاً ويعاون الكسندر مقابل الأفراج عن الرهائن اليهودية التي في قبضة السوريين فسارع يونانان إلى أورشليم وأستولى عليها وحصنها بمساعدة (الكسندر بالاس) وبالغ الكسندر في سبيل كسبه نهائياً إلى صفه فأهداه معطفاً قرمزياً وتاجاً من الذهب وعينه الخاخام الأكبر واستغل يونانان عيد المظال عام ١٥٢ ق.م. ودخل المعبد وأعلن نفسه حاخام أكبر فكان أول حشمونائي يبلغ هذه المكانة وهكذا احتفظ بها البيت الحشمونائي زمناً طويلاً وظل يونانان حاكماً تسع سنوات « ١٥٢ - ١٤٤ ق.م. » كانت سنوات

تقدم واتعاش لليهود لأنه عرف الجانب الذى يحالفه النزاع القائم حول العرش السورى أعنى (الكسندر بالاس) ضد (ديميتريوس) ملك سوريا الذى حاول جاهدا إصلاح ذات البين بين العرش السورى وبين اليهود فبالغ فى مراعاة شعورهم الدينى حتى حرم استدعاء اليهودى للتقاضى أو التحقيق معه فى الفترة الممتدة بين ثلاثة أيام قبل العيد وبمده وكذلك يوم السبت وبالرغم من كل هذه المعاملات الحسنة أخذ (يونانان) — الحشمونى جانب «الكسندر بالاس» وعاونهُ حتى تم له الانتصار على «ديميتريوس». وجلس «الكسندر بالاس» على عرش الملك طوال الفترة الممتدة من ١٥٢ إلى ١٤٦ ق. م وفيها حقق اليهود توسيع رقعة بلادهم أعنى إقليم يهوذا على حساب البلاد المجاورة وقد أدى هذا الوضع الجديد للملكية السورية واقتسامها بين «الكسندر بالاس» و «ديميتريوس» الثانى إلى أحداث فتنة بين السوريين أنفسهم فريق يدين بالولاء للكسندر بالاس وآخر لديميتريوس وانتهز اليهودى يونانان هذا الظرف وقرر التخلص من الحزب المعارض أعنى الحزب اليهودى التقدمى المتأثر بالثقافة الهلينية فهاجم هؤلاء المعارضين فى عكا وحاصرها فطلب يهودها حماية الملك السورى ديميتريوس الثانى ، فما كان من اليهودى يونانان أن غدر بحليفة الكسندر بالاس وقصد «ديميتريوس» وقدم له كثيرا من الهدايا ونجح فى كسب ثقة الملك ديميتريوس حتى عينه حاكما أكبر وأخذ ينصب شباك الحبل ويوسع رقعة إقليمية حتى لم يبق أمام «ديميتريوس» الثانى إلا أن يعمل للتخلص منه فوصى أحد قواده إلا وهو «ديوبوتوس تريفون» Diobotos Tryphon بتدبير خطة للقضاء عليه فما كان من هذا القائد إلا أن غرر بيونانان واسطجبه وجيشه إلى عكا وهناك ألقض عليه السورىين فأوقع بالجيش اليهودى هزيمة ساحقة ووقع يونانان فى الأسر . أما الابن الحشمونى الباقى على قيد الحياة ألا وهو «شمعون» فلم يكدر يسمع بخبر هذه الهزيمة وأسر يونانان حتى بادر إلى الاستعداد للدفاع عن اورشليم إذا ما هاجمها القائد السورى «تريفون» Tryphon

وقرر تريفون أن يلجأ بالإبقاء على يونانان حياً لعبة تخدم سوريا وسائر الأقاليم المجاورة وتقضى نهائياً على الخطر اليهودي فأعلن « تريفون » أنه اعتقل « يونانان » ضمناً لتحصيل الضرائب المستحقة على إقليم يهوذا للغزاة الملكية فإذا ما سدد اليهود هذه الأموال وقدموا الابنين الاثنين ليونانان رهينة لاستقبال السلام فإنه ولا شك سيطلق سراحه وهكذا نجد « شمعون » إقازا حياة أخيه يونانان يرسل المال وابني يونانان إلى القائد السوري « تريفون » وبعد ذلك أمر (تريفون) بإعدام يونانان عام ١٤٣ ق م . فاختفى شمعون هذه الأسيرة الخشمونائية من الوجود سياسياً لفترة ما وإن كان بعض أرماء هذا البيت ظل يقوم بدور ثانوي في الحياة اليهودية في فلسطين .

وإذا تركنا فلسطين واتجهنا إلى مصر لنعود إلى فلسطين ثانية وجدنا وطن الفراعنة لا يزال يرسل شعاعه الروحي على سكانه والمستجيرين به أن مصر وطن موسى والتوراة والعقيدة اليهودية لا زالت مصدر التوجيه العقائدي اليهودي إبان عصر الحكم اليوناني إذ كانت مصر مأوى ومهجر اليهود فقد انتشر اليهود في كنانة الله وجالهم وقتذاك حالهم أيام الآباء الأولين الذين وفدوا على مصر وتكاثروا فيها وتمتعوا بجميع الحقوق التي يتمتع بها المصريون واليونانيون وفي مصر تركز اليهود في الإسكندرية خاصة كما اهتموا بطرق النقل البحري واعتمد الرومان على الحاصلات الزراعية المصرية فاهتم اليهود بتجارة الحبوب وبيعها لروما ونقلها على السفن اليهودية فجمعت ثروة التجارة والنقل في يد اليهود فازدادوا ثراءً وأبهة كما اهتموا بثقافة اليونانية والمعالم فكان يهود مصر الركيزة التي اعتمدت عليها اليهودية أين وجدت .

شمعون ويوحنا هيركان (١٤٣ - ١٠٦ ق م) .

اقتنى شمعون أثر أخيه يوحنا ، أعنى انتهز فرصة ضعف العد فقام وحسن البلاد وقواها لتوسيع رقعتها ، وهكذا نجد شمعون يحمر البلاد نهائياً من سوريا وجعل من مملكة يهوذا دولة مستقلة كما تناهض من الحزب القدسي لذلك يوسف

عهد حكم شمعون الذي دام تقريباً تسع سنوات على أنه العصر الذهبي للبلاد إذ مكن الشيخ أن ينعم بحياة الهدوء في حريف حياته وأخذ الشاب يفرح بشبابه والفلاح يتمتع بالجلوس تحت كرمه أو تينته .

ولكن يؤمن شمعون نفسه من سوريا فكر في وضع نفسه وبلده في خدمة روما عاصمة الطغیان في ذلك العصر فارسل وفداً إلى روما راجياً وضع بلده تحت حمايتها وذلك بوضعه ضمن رابطة دول الإمبراطورية الرومانية ورحبت روما بهذه الفكرة لأنها اعتبرتها الخطوة الأولى للاستيلاء عليها نهائياً وأعلنت روما قرارها بضمها إلى الرابطة رسمياً عام ١٤٠ ق . م . ولم يكد يمضي قرنان على هذا الاعلان حتى طلبت روما من يهود فلسطين تكريم واحترام القيصر الروماني والدعاء له في المعبد وتلت هذه الخطوة خطوة أخرى تمت بعد ثلاثين عاماً من هذا الطلب قصت على الشعب اليهودي قتلاً وسبياً وتشريداً وشاءت الأقدار أن بطليموس بن هبوب زوج ابنة شمعون اغتال شمعون عندما كان يقوم بجولة في البلاد وفي رفقته روجه وأبناء الصغيران فر في رحلته بحصن بالقرب من أريحا وهناك استقبله ابن هبوب استقبالا حسناً وأولم ولية فاخرة لشمعون ومن معه وفي أثاثها انتفض على شمعون وولديه « يزدا » و « متايا » وقبض عليهم وكان ذلك في فبراير عام ١٣٥ ق . م . أما ابنه الأكبر « يوحنا » فقد نجأ لأنه كان قد تخلف . وهكذا مات آخر أبناء متياهو المكابي فلم ينجح واحداً منهم من القتل .

إلا أن « يوحنا » لما علم بالخبر سارع وأخذ زمام المبادرة لمقاومة « ابن هبوب » وإحباط رغبته في الاستيلاء على الحكم بمساعدة سوريا فقام يوحنا بعدة أعمال عسكرية ضد خصومه وبخاصة الهيركانيين لذلك اشتهر باسم « يوحنا هيركانو » ثم أرسل وفداً إلى روما يعرض عليها حمايته للصداقة اليهودية الرومانية كما أشار إلى استيلاء سوريا على ميناء يافا وغيرها فاستجابت روما إلى نداء يوحنا وأرسلت إلى انطيوخوس تطلبه بإعادة الأماكن التي استولى عليها إلى اليهود ثانية كما حذرت روما من محاولته القيام بأي عمل فدائي ضد اليهود وكان ذلك حوالي عام ١٣٣ ق . م .

واستغل اليهودى هيركان هذه الحماة الرومانية وضعت الجبهة الداخلية السورية وقرر توسيع رقعة حدود بلاده على حساب جيرانه من الشعوب الأخرى وفى ذلك الوقت أعنى عام ١٢٤ أرسل يهود أورشلیم بزعامة المجلس الأعلى إلى يهود مصر وزعيمهم (يهودا أريستوبول والذى ينتمى إلى أسرة كهنوتية عربية ومدرس للملك رسائل يطالبون فيها يهود مصر بالاعتراف بتطهير المعبد الأورشليمى من رجس الجويم والاحتفال سنوياً بهذه الذكرى .

ولم تقف مطامع (هيركان) أو يهود إقليم يهودا عند هذا بل نبعده يدبر خطة أخرى للقضاء على الشعوب غير اليهودية المحيطة بإقليم يهودا فى الجنوب نجد الأدوميين وفى قلب يهودا نجد السامريين الأعداء الألداء وعلى الضفة الأخرى من الأردن نجد اليونانيين ولكى ينجح هيركان فى تنفيذ خطته التوسعية هذه قرر الاستعانة بجنود مرتزقة ولتمويلهم نبش قبر داود واستولى على ما به من ثروة وبدأ بالأردن فاستولى على مدينة مادبا Medaba و (ساميجاس Samegas) على بحيرة طبرية ثم أخذ يستولى على المدن السامرية تدريجياً فحطم (زيشيم Sicheim) والمعبد القائم على جبل • جريريم Garizim (وأخذ اليهود يحتفلون سنوياً بيوم الاستيلاء على هذه البلاد وتحطيمها .

ولم يكتف اليهود بالاستيلاء على هذه البلاد بل أجبروا الأدوميين على اعتناق اليهودية وحطموا معابدهم الأخرى وهكذا نجد اليهودية بزعامة (يوحنا هيركان) تضيق ذرعاً بالمقائد الأخرى فتقضى عليها .

وترتب على إرغام الأدوميين على اعتناق اليهودية بعد الاستيلاء على بلادهم إن اندلعت نيران الحرب ثانية بين اليهود وبين السامريين وذلك لأن أغلبية سكان مدينة السامرية كانوا من اليونانيين أو السوريين وإمعاناً فى اضطهاد المغلوبين قتل اليهودى • يوحنا هيركان (عدداً من الأدوميين الذين أجبروا على اعتناق اليهودية من إقليم (ماريسا) إلى إقليم سميريا فدفع هذا

العمل الانتقامى سوريا إلى الانتقام من اليهود فهاجوا إقليم يهوذا واستولوا على عدة
 أمكن ساحلية ومن بينها « يافا » فشكا اليهودى « هيركان » السوريين لدى روما
 حامية اليهودية واستجابت روما لتوسلات اليهود فهاجم اليهود ساميريا واستولوا
 عليها بعد حصار طويل شديد وساواها بينها وبين الأرض فلم يترك اليهودى منزلاً
 قائماً وحجوا معالم المدينة نهائياً وكان ذلك حوالى عام ١٠٩ ق. م. وهكذا استطاع
 اليهود بمساعدة روما الارتفاع بقدراتهم إلى مستوى جيرانهم من حيث القوة والمكانة
 إذ انتصر اليهود على جيرانهم الذين كانوا يهددونهم فالتسعت رقعة إقليم يهوذا بعد أن
 كسر اليهود الحصار المضروب حولهم وزحف اليهود إلى العالم الخارجى فتمت
 ثروتهم وازداد خطرهم وبخاصة لما سقطت طرق القوافل بين مصر وسوريا في أيديهم
 واتهم يهود مصر الشحنة التى قامت بين ملك مصر « بطلميوس لاثوروس Ptole-
 maens Lathuros » والدته التى كانت تنازعه على عرش مصر واضطرته إلى
 الهرب إلى قبرص وأخذت ترميه بالجيش وراء الجيش للقضاء عليه نهائياً إلا أن
 الجيوش المصرية انضمت هناك إلى الملك فما كان من أمه إلا أن سرت إليه جيشاً
 يهودياً مصرياً تحت قيادة « هلكيا Helkia » و « أنايا Anania » ابنى
 « أونياس » فحققا رغبة أم الملك التى كانت خاضعة لنفوذ وتوجيه يهود مصر الذين
 يديرون الخطة لإضعاف مصر وشل أيديها عن تقديم مساعدة لأصدقائها فى فلسطين
 وسوريا وهكذا نجد يهود مصر يعملون مع يهود إقليم يهوذا يداً واحدة لتحقيق
 هدف مشترك ألا وهو الاستيلاء على أكبر رقعة فى الشرق أولاً وإضعاف جيران
 اليهود الذين قد يهددونهم ثانية وخصوصاً بعد أن تعلم اليهود من جيرانهم فنون
 الحرب والتسليح وإقامة الحصون وضرب النقود وزخرفة المعابر فقد شيدت الأسرة
 الحشمونائية قصراً فخماً على الطراز اليونانى وأمامه قاعة تعرف باسم كسيستوس
 Xystos لمقد الاجتماعات الشعبية وفى مدينة مادبا وطن الأسرة أقيمت مقبرة من
 الرخام على الطراز اليونانى . وفى هذا العهد ظهرت الفرق الدينية المختلفة ألا وهى
 الحسيديم والاساة والفريسيين والصدوقيين .

أما الفريسيون قد اشتقوا اسمهم من اهتمامهم بتفسير الشريعة وعن هذا التفسير أثبتت قوانين أخرى وشعارهم المحافظة على اليهودية أعنى الشريعة واحترام سنن السلف الصالح وأى انحراف عن أصل الشريعة أو السنة يعتبر كفراً .

أما الصدوقيون فكانوا يقولون بمذهب الغاية تبرر الوسطة فالمسائل الدينية يجب ألا تقف عقبة في سبيل تحقيق غاية سياسية ويسخر الفريسيون منهم ويقولون ويقدرّون فتضحك الاقدار فتقدرّات الدولة والأفراد لا تتوقف على الناس بل على الله فاذن لا داعى للانحراف فلا القوة البشرية ولا الذكاء البشرى ولا القوة العسكرية تقرر حاضر الشعب لليهودى أو مستقبله بل إرادة الله هى الأولى والأخيرة ، وهكذا تصطدم الفرقتان الدينيتان حول كثير من المسائل الدنيوية والدينية والثواب والعقاب .

ثم نجد طائفة الصدوقيين تسلك طريقاً سياسياً خاصاً وذلك لأن معظم أعضائها من أغنياء اليهود ورجال الجيش والسياسيين الذين جمعوا كثيراً من الثروات والتجارب نتيجة أسفارهم واتصالاتهم بالعالم الخارجى وكان شعارهم الوطن أولاً والدين ثانياً وهم يؤمنون بأن الإيمان بالله والتمسك بشريعته لا يكفيان لضمان سلامة واستقلال الدولة اليهودية ، ويقول الصدوقيون إن منح الفرد حرية الإرادة ليختار الوسيلة التى تلائم له ليعيش حياة سعيدة فالإنسان هو سيد نفسه وسيد مقدراته والله لا يتدخل فى المسائل الخاصة بالبشر أما الثواب والعقاب فينالهما الفرد من النتيجة التى تأتية من عمله ولا ضرورة لأن يؤمن الإنسان بالبعث بعد الموت. وفيما يتعلق بالشريعة وما إليها ووجوب احترامها والعمل بها فالصدوقيون يؤمنون بالشريعة المكتوبة فقط والواردة فى الأسفار الخمسة الأولى أعنى التوراة أما الأحكام الأخرى التى جاءت عن طريق الرواية أو نشأت فى عصور أخرى فلا قيمة لها ولا الفرد غير مطالب بالإيمان بها أو احترامها . فالفرق الرئيسى بين الصدوقيين والفريسيين يتناول المسائل القضائية والطقوس وأن اختلفت الطائفتان حول الطقوس المتعلقة بالمعبد .

وغير هاتين الطائفتين ظهرت طائفة «الإساة» وهي أصلاً امتداد للحشمونائيم الذين كانوا ينون بصفة خاصة بتقديس السبت حتى حرموا على أنفسهم الفائط والبول يوم السبت، كما تخلصوا من الرذائل وملاذ الحياة وكانوا مترمطين جداً حتى أن مجرد ملامسة شخص آخر يخالفهم يعتبر نجاسة تلزمهم الطهارة أو تقديم القرابين ، لذلك كانوا يبتعدون عن المرأة حتى كأنهم يحرمون الزواج وكانوا ضد الحرب وينفرون من الجنود حتى العائدين منهم من المعركة الذين نجستهم جثث الموتى لذلك اختاروا لإقامتهم أما كن نائية عن الناس فأقاموا في الصحراء الواقعة غرب البحر الميت في واحة «عين جدى» كما رفضوا الملكية الفردية وذلك لأن كل فرد منهم يعيش في الجماعة والجماعة تعمل متعاونة للحياة وكانوا يلبسون ملابس بيضاء ويحمل كل فرد منهم جاروفاً حتى إذا اضطر إلى إخراج شيء من السليلين شق الأرض . وطى كل فرد أن يستحم كل صباح كما يفعل الحاخام قبل الصلاة تأكيداً لطهارة جسده .

وحدث أن «هيركان» الحشمونائي ناصر الصدوقيين على الفريسيين فغضب هؤلاء ومن ورائهم الشعب المتدين فذب بغض الشعب للحشمونائيم . وتوفي «هيركان» عام ١٦٠ ق م . وقد بلغ الستين عاماً وترك خمسة أولاد (أريستوبول) و (أنتيجونوس) و (الكسندر) و (أسلون) ولا نعرف إسم الخامس . وبعد وفاته دب الشقاق بين اليهود كما حدث من قبل عقب وفاة سليمان بن داود .

خلفاء هيركان أريستوبول :

لما حضرت «يوحنا هيركان» الوفاة عين زوجته ملكة، وإبنة الأكبر «يهودا» أو كما يعرف في اليونانية بإسم «إريستوبول» كبيراً للحاخامين ، فطرد أمه من العرش وجمع هو بين الوظيفتين . ولم يكنف «أريستوبول» بطرد أمه من العرش بل رَجَّح بها في السجن ومعه ثلاثاً من إخوته ولم يرع إلا أخاه «أنتيجونوس» الذي كان يتفق معه في مشاريعه ونظرته إلى الحياة وآرائه السياسية فأشركه معه في الحكم وسار سيرة أبيه فخاصم الفريسيين وأقصاهم عن نشاطهم فبغضه الشعب ونفر منه اليونان وأنصار الثقافة الهلينية فرأى اليونان فيه للصفة اليهودية الوضيعة بينما

تبين اليهود فيه غلظة القلب والقسوة ، وقد ترك أمه في السجن تموت جوعاً ، كما يقال أيضاً أنه دبر قتل أخيه « إنتيجونوس » غيرة منه .

وأراد « إريستوبول » توسيع رقعة بلاده فمد حدود إقليم يهوذا شمالاً بشرق حتى بلغت مشارف دمشق ، واقتنى أثر والده يهود الشعوب التي غلبها على أمرها . ومات إريستوبول بعد أن ملك سنة واحدة فقط (١٠٦ - ١٠٥) ق. م .

فجلس على العرش أخوه الأصغر « يونانان » أو كما يسمى أحياناً مختصراً « يناى » أو في اليونانية « الكسندر » وتزوج من « سالومي » التي تسمت فيما بعد « الكسندرا » . ورغب في الاستيلاء على بعض المدن الساحلية فاستولى على ميناء « بطليموس يهوذا » وهي قرية من « عكا » الحالية ، فلجأ سكانها إلى مصر فاتهم الأمير « بطليموس لاثوروس » هذه الفرصة وسارع لتوسيع رقعة ممتلكاته وكان قد استولى على قبرص بسبب الحرب التي نشبت بينه وبين أمه ورغب « لاثوروس » الاقتراب من مصر براً فسارع وأرسل ثلاثين ألف مقاتل إلى شاطئ إقليم يهوذا ، فضرب الجيش اليهودى ضربة قاضية ، فقتل من قتل وأسرى منه كثيرين كما هرب آخرون وانتقم لنفسه لا من الإسكندر فقط ، بل من اليهود أنفسهم ، وبخاصة فإن يهود مصر كانوا قد ضايقوه كثيراً بخياناتهم وعدائهم له فهم الذين حرضوا أمه كليوباتره عليه وأوهموها أنه بعد أن يفرغ من فتح يهوذا سينقض عليها في مصر ويستولى عليها ، فعبأت جيشاً قوياً تحت قيادة قائدين يهوديين وهما « حلقيا » و « انينا » ابني « أونياس » الذين سارا بهذا الجيش إلى يهوذا وسوريا طامعين في النار لليهود الذين نكل بهم « لاثوروس » تنكيلاً جباراً واصطدم الجيشان وقتل « حلقيا » وانتصر « عنيانا » وجيش مصر على « لاثوروس » ورغب يهود مصر من كليوباترة تجريد الاسكندر من العرش وضم أملاكه إلى مصر إلا أن كليوباتره رفضت هذا الاقتراح يقيناً منها أن مثل هذا الضم قد يفهم أنه استيلاء على إقليم يهوذا فيملاون يهود مصر وغيرها مع أعدائها للقضاء عليها لذلك رأت الإبقاء على الاسكندر وعقدت معه معاهدة دفاع مشترك حوالى عام

٩٨ ق م . للدفاع عن مملكة يهوذا ضد أى عدوان خارجى . إلا أن الاسكندر سلك مسلكاً أثار عليه طائفة الفريسيين لاستهتاره بطقوس المعبد نشأ عنه ضعف فى الجبهة الداخلية وتصدع خطير ، ومما زاد الطين بله جنونه بحب التوسع والغزو مما أغضب الملك البطى العربى «عبيدة» فانقض على الاسكندر بجيش قدم به من شرق الأردن فأباد الجيش اليهودى ولم ينج الاسكندر من اللوت إلا هرباً إلى اورشليم فزادت هذه الهزيمة من إشاعة الفوضى ، فاندلعت الثورات الداخلية طيلة ستة أعوام (٩٤ - ٨٩) ق م . ولم يستطع الاسكندر القضاء على الاضطرابات الداخلية إلا بفضل الجنود المرتزقة . ولما أعيته الحيلة طلب مصلحة الفريسيين فأبوا إلا قتله واتفق الفريسيون مع الملك السورى «ديمتريوس أويكاروس Demetrios Eukaeros» على احتلال البلاد فهرب الاسكندر من وجه الجيش السورى وهام على وجهه فى جبل إقرايم ، ثم جمع حوله نفرأ من أنصاره وأسر عدداً من الفريسيين وصلبهم كما قتل نساءهم وأطفالهم وإبان هذه المذبحة التى صلب فيها نحو ثمانئة رجل فأنارت هذه المذبحة وهذا الصلب خنق القوم حتى لقبوه بامم طرازير «Thrazier» كما هرب من وجهه عدد كبير من اليهود الى سوريا ومصر .

ولما حضرته الوفاة عين امرأته ملكة وأحاطها بجماعة من المستشارين الذين يتولون زمام الأمور وأوصى الملكة بأنه عندما يفارق الحياة تسلم جيشه للفريسيين لذين ناصبهم العداء طيلة حياته ، والفريسيون إما ينتقمون من جيشه فيشبعون شهوتهم الانتقامية أو يغفرون له ذنوبه ويوارونها التراب حسب الطقوس الشرعية ، وقال جلته شهورة «لا تخف الفريسيين الصادقين ولا الخصوم الحقيقيين بل أخشى النافقين المن الجانبين .»

آخر ملوك الحشمونائيم (٦٩ - ٣٧) ق م :

لا شئ يجعل بزوال الدولة مثل التنازع على الرئاسة ونحرىض كل طائفة شعبية على الأخرى وإقحامها فى هذه التنازعات التى تضعف الأمة وتمكن عدوها منها .

فقد قررت الملكة « سالوى الكسندرا » وهى تمنى سكرات الموت التنازل عن العرش لابنها البكر ، الا وهو « هيركان الثانى » عملاً بالشرعة الموسوية وقد اشتهر هذا الرجل بطيبة القلب مع ضعف فى الإرادة بخلاف أخيه الأصغر « أريستبول الثانى » الذى كان يشبه أباه قسوة ووحشية إذ لم تسكد تفضى الملكة عينها ويتولى « هيركان » الملك إلا وهجم « أريستبول » يعاونه الصدوقيون على أورشليم لإزال أخيه من على العرش والذى كان يسانده الفريسيون والشعب والجنود المرتزقة الذين كانت تعولهم الملكة ، وتنفق عليهم وقد نجح « أريستبول » فى القبض على امرأة أخيه الملك وأولاده وأخذهم رهينة . وفى أريحا التقى الاخوان المتنازعان على رأسى جيشهما وخسر « هيركان » المركة وهرب إلى أورشليم وذلك لأن معظم المرتزقة هربوا وانضموا إلى أريستبول « الذى نجح أيضاً فى الاستيلاء على المعبد وأسرى خصومه الذين كانوا لاذوا به ، وأصبح أريستبول سيد العاصمة والمعبد وهكذا ضاع العرش الذى جلس عليه هيركان ثلاثة شهور فقط وضماناً لاستقرار الأمر اقترن ابن (أريستبول) المسمى (الكسندر) بابنة (هيركان) السهام (الكسندرا) وهكذا انتصر الصدوقيون على الفريسيين .

وشعر (أريستبول) بالخطر الذى قد يقضى عليه إذا ما تمكن الصدوقيون من الانتقام من الفريسيين أو محاولة فرض تعاليمهم على سائر اليهود بالقوة . وشاءت الأقدار أن أحد الأدوميين الذين هودم قوة واقتهاراً « يوحنا هيركان » وسنحت له الفرصة للانتقام لبنى جنسه . وهذا الأدوس هو « انتيباتر Antipater » بن « انتيباس Antipas » من أسرة أدومية كريمة وكان ثرياً ذكياً وسياسياً عظيماً حتى عينه الاسكندر حاكماً على إقليم أدوميا فكان يتمتع بحب الجميع من أدوميين وغيرهم من الأنباط وسكان قطاع غزة وعسقلون كما وقع اختيار « هيركان » عليه ليكون مستشاره الخاص بعد أن فقد صولجه ونصح « انتيباتر » الأدومى للملك الخلع أن يحتكم بخصوص عرشه المضاع إلى شخصية أجنبية ولكن شخصية « أريستاس Aretas » ملك النبط ، وهرب كل من « أنتيباتر » و« هيركان » من أورشليم

إلى (بطرزة) عاصمة الملك النبطى (أريتاس) ورجاه (هيركان) أن يناصره لاسترداد عرشه الشرعى، فإذا ما تم له هذا فإنه سيتنازل للملك النبطى عن اثنتى عشر مدينة تقع فى شرق وجنوب غرب البحر الميت فتتحرك (أريتاس) على رأس جيش من خمسين ألف مقاتل إلى مملكة يهوذا والتحم عام ٦٦ ق . م بجيش (أريستوبول) وهزمه واضطر (أريستوبول) إلى الهرب إلى اورشليم فلاحقه (أريتاس) للاستيلاء على اورشليم ، فلم يسكدهود اورشليم يروثه حتى هربوا من اورشليم ، ولجأ معظمهم إلى مصر .

وانتهزت روما هذه الحرب وكانت فى ضيق مالى فساومت للملكين اليهوديين المتنازعين ، أعنى (هيركان وأريستوبول) على التسارعة إلى تقديم الذهب اللازم إلى القائد الرومانى (سكوروس) فقدم « أريستوبول » كمية وفيرة من النقود الذهبية بينما اقتصر « هيركان » على بذل الوعود، لذلك سارع « سكوروس » وطالب « أريتاس » بفك الحصار عن اورشليم وإلا سيتعرض للانتقام روما التى كانت تخشى زيادة قوة الملك النبطى العربى « أريتاس » وكان ذلك عام ٦٥ ق . م، واغتر « أريستوبول » واعتقد أنه سيد الموقف والملك القوى وقد داعبه هذا الغرور عامين (٦٥ - ٦٣ ق . م) إذ هاجم القائد الرومانى « بومبيوس » اورشليم واحتل مملكة يهوذا وهكذا نجح كفاح المكابيين ضد السوريين ثم تلاشى فى أواخر عهدهم وتم للرومان احتلال البلاد واستعباد اليهود وانتهز « هيركان » هذه الفرصة ولجأ إلى روما طالباً منها التحكيم بينه وبين أخيه وبخاصة فقد جرد « بومبيوس » الملك « هيركان » من لقبه الملكى واحتفظ بلقب الحاخام الأكبر و « أمير الشعب » ووضع تحت سيادة « انتياتر » الأدومى الذى عينته روما حاكماً على البلاد وفرضت جزية على اليهود .

والآن نتساءل ما نوع الجزية التى فرضتها روما على اليهود ؟ لم تكن هذه الجزية من نوع الذى جرت عادة الرومان عليه، وليست الجزية التى كانت تفرضها على الشعب المتميزم أعنى تأميم الأراضى الزراعية والحدائق والراعى مع تركها لأصحابها يستغلونها

كمتأجرين فقط طى أن يوردوا بعض محصولها نظير الاتفايع بهـ ١ أو تركت بعض
الأراضى لأصحابها الذين أدوا خدمات للرومان أو منحت روما أراضى الذين
أوقعوا فى الأسر لآخرين يستغلونها ؟

والواقع أن شراهة الرومان فى امتلاك الأراضى تفوق كل شراهة وذلك لأن
الرومان لما أخضعوا البلاد اليهودية واستولوا عليها ففتوها إلى ملكيات صغيرة وعادوا
بها إلى ما كانت عليه قبل الحكم الحشمونائى ، كما أعلن « بومبيوس » أن جميع اللوانى
أو المدن الساحلية والى تقطنها جاليات يونانية مدن حرة وتركها لسكانها كذلك الحال
إمع كثير من المدن الداخلية أو الواقعة على الضفة الأخرى للاردن كما استقطع من
قليم يهوذا كثيراً من المدن مثل « مमारيا وبيت شان » ومدن أخرى فى وادى
يزرعتل ضم معظمها إلى سوريا ، كما ساق « بومبيوس » بعد انتصاره على أورشليم
« أريستبول » وابنه « أنتيجونوس » وابنتيه وعمه « أبسالون » إلى روما لينضموا
إلى مسيرة الأمراء الذين هزمهم « بومبيوس » وأسرم ، والذين طلب إليهم أن
يسيروا أمام عربية « بومبيوس » فى مسيرة النصر عام ٦١ ق م .

فهؤلاء اليهود الذين عرفوا روما عن طريق الأسر وجدوا ولا شك يهوداً
آخرين فيها وفدوا من مصر وكانوا يعملون فى تجارة الغلال بين مصر وروما وقد
كانوا يقيمون على الضفة اليمنى لنهر التيمبر المواجهة لجبل الفاتيكان . وما كادت الحياة
تدب فى هؤلاء اليهود حتى أخذوا يتدخلون فى توجيه رأى العام الرومانى إلى
مصلحتهم مما اضطر أمثال « أبولونيوس مولو » وتلميذة « شيشيرون »
إلى بذل الجهود لمقاومة هذا الخطر اليهودى وبخاصة فى دفاعه فى قضية
« فلاكوس Flaccus » فقد هاجم شيشيرون اليهود وأنصح عن غرائزهم
للشريرة وجرائعهم الشنيعة .